

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرِ الْعَطَاءِ، سَائِقِ السَّرَّاءِ وَكَاشِفِ الضَّرَّاءِ، وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَتُهُ، وَظَهَرَتْ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ حِكْمَتُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَنْ اسْتَعَانَ بِهِ أَعَانَهُ، وَمَنْ اسْتَكْفَاهُ كَفَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَعْظَمَ الْخَلْقِ ثِقَةً بِاللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الشَّاكِرِينَ التَّقَاةِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ: فَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالتَّيْسِيرُ بَعْدَ الْعُسْرِ لَهُ قَرِينٌ ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (١)، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (٢).
عِبَادَ اللَّهِ:

اِفْتَضَتْ حِكْمَةَ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ - أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ خَيْرٌ وَشَرٌّ، وَسَرَّاءٌ وَضَرَّاءٌ، وَنَافِعٌ وَضَارٌّ، وَمَحْبُوبٌ وَمَكْرُوهٌ، فَامْتَرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ بِالْآخَرِ، وَفِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ بِالِغَةِ، وَدَلَالَاتٌ بَاهِرَةٌ ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٣)، وَقَدْ تَكُونُ الْحِكْمَةُ بَيِّنَةً فِي وُجُودِ الْخَيْرِ وَالسَّرَّاءِ، وَالْمَحْبُوبِ وَالنَّافِعِ، فَأَيُّ حِكْمَةٍ فِي الشَّرِّ وَالْمَكْرُوهِ؟ وَأَيُّ نَفْعٍ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ؟ إِنْ مَنْ تَسْمَعُ أُذُنُ قَلْبِهِ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (٤)، وَتَرَى عَيْنُ رُوحِهِ نُورَ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٥)، وَيَسْبِخُ عَقْلُهُ فِي حَقَائِقِ وَحْيِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (٦)، يُدْرِكُ تَمَامَ الْإِدْرَاكِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ أَمْرُهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ.

(١) الطلاق/ ٢

(٢) الطلاق/ ٤

(٣) التين/ ٨

(٤) البقرة/ ٢١٦

(٥) النساء/ ١٩

(٦) الشورى/ ٣٦



أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ الْوُجُودَ لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا بِالتَّضَادِّ، وَالْعَالَمَ الْوَاسِعَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِالتَّدَاوُعِ، وَقَدْ أَجْمَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذِهِ الْمَعَانِيَ الْعَظِيمَةَ فَكَانَتْ قَوَانِينِ، وَمَا أَوْسَعَ شُرُوحَاتِهَا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ؛ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ امْتِرَاجٌ لِلْخَيْرِ بِالشَّرِّ، وَتَلَاقٍ بَيْنَ النَّافِعِ وَالضَّارِّ، وَتَعَاقُبِ بَيْنَ السَّرِّاءِ وَالضَّرَّاءِ، ﴿ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^(١)، فَلَوْ كَانَ الشَّرُّ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ لَهَلَكَ الْخَلْقُ، وَلَوْ كَانَ الْخَيْرُ مِنْ دُونِ شَرٍّ لَسَقَطَتِ الْمِحْنَةُ، وَانْقَطَعَتِ الْفِكْرَةُ؛ فَإِنَّ الْمِحْنَةَ هِيَ الَّتِي تُظْهِرُ الْجَيِّدَ، وَتُبْرِزُ النَّافِعَ، وَتُحَرِّكُ السَّاكِنَ، وَتُنَبِّهُ الْغَافِلَ، وَتُنَشِّطُ الْمُتَثَقِّلَ؛ فَتَحْتَ الْمِحْنَةِ ذَكَرَ الْإِنْسَانُ فَقْرَهُ إِلَى رَبِّهِ، وَعَدَمَ اسْتِغْنَائِهِ عَنْ عَوْنِهِ وَمَدَدِهِ، وَمِنْ رَحِمِ الشَّدَّةِ خَرَجَتِ الْفِكْرُ، وَظَهَرَتِ الْمُخْتَرَعَاتُ، وَانْبَعَثَتِ الطَّاقَاتُ، وَزَادَتِ الْمُنتَجَاتُ، وَتَعَاوَنَ النَّاسُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى.

عِبَادَ اللَّهِ:

مَا أَكْثَرَ مَظَاهِرَ حِكْمَةِ اللَّهِ فِي تِلْكَ الشَّدَّةِ الَّتِي نَزَلَتْ، وَالضَّائِقَةَ الَّتِي كَانَتْ، وَحَسْبُكُمْ فَرَحُكُمْ بِمَا أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى أَيْدِيكُمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَمَا كَانَ مِنْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ؛ فَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي عَوْنِ أَخِيهِ؛ فَكَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِكُمْ، وَلَعَمْرِي إِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْفَرَحُ الْمُبَاحُ، وَالتَّفْعُ الصَّرَاحُ، وَتِلْكَ الْفَائِدَةُ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ فَائِدَةٍ، وَالْخَيْرُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَلَيْسَ هُنَاكَ قَوْلٌ يُصَوِّرُ ذَلِكَ الشُّعُورَ، وَبَيَانٌ يَصِفُ تِلْكَ الْحَالَ، أَعْظَمَ مِنْ قَوْلِ رَبِّنَا الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾^(٢)، فَأَدْرَكْنَا عَيْنَ الْإِدْرَاكِ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ بِنَا الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِنَا الْعُسْرَ، وَيُرِيدُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنَّا وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَلَيْنَا ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾^(٣).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرَ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.



(١) البقرة/ ٢٥١.

(٢) يونس/ ٥٨.

(٣) الشرح/ ٥ - ٦.

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَاوَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ: وَعَلِّمُوا أَنْ نِيَّةَ الْخَيْرِ بِدَايَةِ الطَّرِيقِ الْخَيْرِ، فَكَانَ لِرِزَامًا عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُجِدَّ الْعَزْمَ مَعَ اللَّهِ؛ فَيَمْلَأَ قَلْبَهُ خَيْرًا، وَيَعْمُرَهُ إِيْمَانًا وَيَقِينًا؛ فَإِنَّ نِيَّةَ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَمَنْ عَلِمَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ خَيْرًا آتَاهُ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْهُ، وَفَوْقَ ذَلِكَ مَغْفِرَةُ اللَّهِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا مَغْفِرَةُ اللَّهِ ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، وَلِيَعْلَمِ الْإِنْسَانُ أَنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا مَنَعَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَى أَشْيَاءَ، وَقَدْ يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ فِي يَوْمٍ مَا أَنَّ الْخَيْرَ فِيمَا اخْتَارَهُ اللَّهُ؛ فَيَرَى أَنَّ مَنَعَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْهُ هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ سُدَّ بَابٌ وَاحِدٌ انْفَتَحَتْ أَبْوَابٌ، وَتَهَيَّأَتْ بِفَضْلِ اللَّهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَظَهَرَ لِلْإِنْسَانِ مَا كَانَ مَخْفِيًّا مِنَ الْحِكْمَةِ، وَبَانَ مَا كَانَ غَائِبًا مِنَ الرَّشَادِ ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)، عِنْدَ ذَلِكَ لَا تَمْلِكُ الْقُلُوبُ الْحَيَّةُ إِلَّا أَنْ تَنْتَقِسَ شُكْرُ اللَّهِ، فَيُجِيبُ اللِّسَانَ قَائِلًا: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَيَكُونُ الْجَزَاءُ مِمَّنْ يَقْبَلُ الْيَسِيرَ وَيَهْبُ الْكَثِيرَ: لِأَزِيدَنَّكُمْ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣).
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ



(١) الأنفال/ ٧٠ .

(٢) النحل/ ١٨ .

(٣) سورة الأحزاب/ ٥٦ .

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدَعْ فِينَا وَلَا
مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.
اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ
الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.
اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ
نَسْتَغِيثُ إِلَّا تَكَلَّنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ
شَأْنِ الصَّالِحِينَ.
اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ
عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.
اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا
وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.
رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِكَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

